السّرديات السيميائية في النقد الجزائري: رشيد بن مالك أنموذجا

الأستاذ: سحنين علي
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات
جامعة أم البواقي– الجزائر

تمهيد:

لقد أصبح إعمال النّظريّات النّقديّة الغربيّة الحديثة في الوسط النّقديّ العربيّ المعاصر ضرورة حتميّة وملحّة أملتها ظروف معيّنة وحساسيّات جديدة، حتّمت على النّقد أن يغيّر منطلقاته القديمة ويتجاوز تلك النّظرة السّلفويّة الماضويّة في قراءة الأعمال الأدبيّة وتحليلها. ولقد أثبتت الدّراسات جدارة هذه النّظريّات النّقديّة وتفوّقها في استنطاق النّصوص الأدبيّة والكشف عن خباياها ومكنوناتها وإضاءة الكثير من جوانبها الغامضة.

ومواكبة منه للوضع الثّقافيّ العام الّذي تشهده السّيرورة التّاريخية آثر النّاقد الجزائريّ الإفادة من هذه المناهج والنّظريّات النّقديّة النّصانيّة الغربيّة، رغبة منه في تجديد القراءة والوعي بالنّصّ الأدبيّ، ومسهما في الوقت ذاته في تحديث وعصرنة النّظريّة النّقديّة في بلادنا.

ومن بين طرق التّحديث والعصرنة الّتي سلكها النّاقد الجزائريّ في بلورة خطابه النّقديّ الجديد هو إعلان انفتاحه –بداية من ثمانينيات القرن العشرين– على النّظريّة السّيميائيّة الغربيّة وبالأخصّ النّظريّة السّيميائيّة الفرنسيّة ذات التوجّه الغريماسي، حيث أفاد من مقولات غريماس السّيميائيّة ونظريّاته المتعلّقة بتحليل النّصوص والخطابات السّرديّة.

في هذا الإطار تتنزل أعمال ودراسات الباحث "رشيد بن مالك" ضمن الجهود النقدية الجزائرية الميممة وجهتها شطر السيميائية السردية (اتجاه مدرسة باريس) بكثير من الاقتدار العلمي والمنهجي لاسيما تحكمه في المنهج ووضوح رؤيته النقدية، ولاشك أن هذه الأخيرة هي ما يميز تجربته النقدية ويشجّع على قراءة مشروعه السيميائي، فهو منذ دراساته الأولى قد

أفصح بدقة عن مرجعيته وعن ولائه المنهجيّ الكامل للجهود السّيميائيّة الفرنسيّة والغريماسيّة تحديدا*، فلم يترك لنا –بخصوص ذلك– أي مجال للتساؤل أو التأويل أو الترجيح.

ولئن كان الباحث صريحا –في أكثر من موضع– وحريصا على دقته في اختيار المنهج، تجنبا للوقوع في فخ الانتقائية أوالتلفيق، فلأنّه كان يروم استثمار مقولات النظرية السيميائية وإجراءاتها التحليلية من أجل التأسيس لمشروع نقديّ ضخم ونظريّة سيميائيّة لتحليل الخطابات السّرديّة وسبر أغوارها.

إننا ونحن نحاول الولوج إلى عالم النّص النّقدي السيميائي للباحث "رشيد بن مالك" نعي جيدا صعوبة المسلك ووعورة الدرب في حقل أقل ما يقال عنه أنه يتطلب إلماما واسعا بمستويات النّص الأدبيّ والنّص النّقديّ معا. إنّه حقل "نقد النّقد" المحفوف بالكثير من المزالق والمخاطر، والذي لا ندّعي في هذه المقالة –المتواضعة– ممارسته بمفهومه العلمي الدقيق، لذلك ندرجها ضمن ما اصطلح عليه "خطاب على خطاب" أو"كلام على كلام" أو "ميتا نقد" –إذا صح التعبير–، ذلك لأنّها لا تعدو أن تكون توصيفا للمادة النّقدية وتحليلها.

ولعلّ ما يؤكّد خطورة الجوس في أعماق ومكنونات النصوص النّقدية قولة "أبي حيان التوحيدي" حينما سئل –في الليلة الخامسة والعشرين– من كتابه "الإمتاع والمؤانسة" عن بعض القضايا المتعلقة بمراتب النثر والشعر، ومواطن الاختلاف بينهما، ووظيفة كلّ منهما فأجاب عن ذلك بقوله: "إنّ الكلام على الكلام صعب." وحين سئل لم؟ قال: "لأنّ الكلام عن الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن، وفضاء هذا متّسِع، والمجال فيه مختلف. فأما الكلام على الكلام، فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعض، ولهذا شَقَّ النحو وأشبه النحوَ من المنطق وكذلك النثر والشعر وعلى ذلك."[1]

فالتوحيدي من خلال هذه المقولة كان يشعر بصعوبة "الكلام على الكلام"، ذلك لأن هذا الأخير له ميزة خاصة تكمن في عسر المخرج من ورائه بطائل، بحيث لا يمكن الوصول إلى النتائج التي تتغياها هذه العملية، فالمنتهى منه غير مطموع فيه ولا موصول إليه.[2]

وقد راود هذا الإحساس النّقاد في العصر الحديث أثناء حديثهم عن منهج "نقد النّقد". هذا ما يستشف من حديث "رونيه ويليك" و"أوستين وارين" عن الأدب والدراسات الأدبية في كتابهما "نظرية الأدب[3]"، ومن خلال –أيضا– كتاب "نقد النّقد وتنظير النقد العربي المعاصر"

للباحث المغربي "محمد الدغمومي"[4]. وقد أشار "محمد سويرتي" في كتابه "النّقد البنيوي والنّص الرّوائي" إلى الصعوبات التي اعترضت بحثه، فأشار من ضمن ذلك إلى صعوبة إيجاد منهج ينسجم مع البنيات النقدية المتباينة: يقول "فما هو المنهج الذي يمكن أن يساعد على مواجهة هذا المتن النقدي المختلف البنيات؟ كيف يجب اقتحامه والدخول في حوار نقدي معه؟ كيف يتناول المنهج جميع عناصر البنية النقدية دون الوقوع في الفوضى والتكرار؟ كيف يجمع بين المنهج البنيوي والحوار النقدي؟"[5] إنها أسئلة حيرى وصعوبات منهجية يمكنها أن تعترض سبيل أي باحث في مجال "نقد النّقد"، وتطرح أكثر من تساؤل بخصوص طبيعة الأدوات المنهجية والمصطلحية التي تساعد على قراءة النصوص النقدية وتفكيكها.

تحاول هذه الدّراسة أن تسلّط الضوء على جانب مهم في التجربة النّقدية السيميائية للباحث "رشيد بن مالك"، وهو محاولة مقاربة الجانب التّطبيقي الإجرائي لهذا الخطاب وتتتبع تمفصلاته والكشف عن مدى فاعليته الإجرائية ومردوديته التحليلية من خلال العلاقة الّتي أقامها الباحث بين النّظريّة السّيميائيّة والنّصّ السّرديّ –خاصّة– على اختلاف أنواعه (حكاية شعبيّة، قصّة قصيرة، ورواية).

1– **مقاربة نصّ الحكاية الشّعبيّة:** حاول الباحث "رشيد بن مالك" أن يقيم علاقة مع النّصّ السّرديّ التّراثيّ القديم، فقدّم في كتابه (السّيميائيات السّرديّة) قراءة سيميائيّة لنصّ سرديّ تراثيّ من كتاب كليلة ودمنة لـ:"عبد الله بن المقفع" وبالتّحديد نصّ النّصيحة الّتي أسداها الفيلسوف الهندي "بيدبا" للملك "دبشليم"، مبرّرا اختياره لهذا النّصّ (النّصيحة) تحديدا بقوله: "إنّ هذا الاختيار صادر عن قناعتنا بأنّ حكايات كليلة ودمنة لا يمكن أن تفهم إلا إذا قرأنا قراءة معمّقة النّصيحة الّتي نعتبرها النّصّ/الإطار الّذي يغذّي دلاليا الحكايات. ومن ثمّ، فإنّ أيّ تأويل دلاليّ لهذا النّصّ السّرديّ المرويّ على لسان الحيوان، يخرج عن النّصّ/الإطار ومحاوره الدّلاليّة الكبرى، سيضلّل القارئ لاشكّ، وينقله إلى مواقع مهزوزة تفتقد إلى القواعد المؤسّسة الّتي ينهض عليها النّصّ في شموليته."[6]

وقد قسّم الباحث هذا النّصّ إلى ثلاثة محاور أو مقطوعات أساسيّة هي كالآتي:

– **المقطوعة الأولى:** تتحدّد زمنيا ومكانيا قبل ذهاب "بيدبا" إلى القصر.

– **المقطوعة الثّانية:** تتحدّد بانتقال "بيدبا" إلى القصر وإسدائه النّصيحة "للملك".

– **المقطوعة الثّالثة:** تبدأ بعد تبليغ "بيدبا" الرّسالة "للملك".

إنّ هذا التّقطيع الّذي أثبته الباحث على الرّغم من أنّه يبدو تقطيعا على الطّريقة التّقليديّة الّتي تقوم بتجزئة النّصّ الأدبيّ إلى أفكار أساسيّة وأخرى ثانويّة، دون أن تراعي ذلك التّداخل والتّعالق والتّكامل الموجود بين مفاصل النّصّ الأدبيّ والمؤسّس لبناه الدّلاليّة والجماليّة والثّقافيّة[7]، فإنّه سيعمل على تمكين القارئ من إدراك مجموع الحالات والتحوّلات الناتجة عن سلسلة الأداءات والبرامج السّرديّة الّتي ينبني عليها نصّ النّصيحة للفيلسوف الهندي "بيدبا".

ومن أجل إدراك الحمولة الدّلاليّة لنصّ النّصيحة، وتوضيح الآلية الّتي يشتغل بها الخطاب الحجاجيّ في هذا النّصّ، عمد الباحث إلى دراسة البنيتين: البنية الخطابيّة والبنية الجداليّة، اللّتين ترتهنان في وجودهما إلى فعل تلفّظيّ قائم بين بيدبا (الأنا اللاّفظ) ودبشليم (الأنت الملفوظ له).[8]

1.1-الاستراتيجيّة الخطابيّة في النّصّ (التّحريك): تمثّل هذه الاستراتيجيّة المبنية على الجهاز التلفّظيّ في النّص نقطة انطلاق حقيقيّة بنى عليها الباحث "رشيد بن مالك" تحليلاته للنّسق السّيميائيّ العام الّذي يحكم نصّ النّصيحة لبيدبا. فبعد قراءته -الفيلسوف بيدبا- للبرنامج السّياسيّ للملك "دبشليم"، ووقوفه على ممارساته السّلبيّة "للسّلطة الّتي تجسّدت عبر أفعال تنصهر في برنامج أساسيّ موجّه ضدّ الرعيّة وحقّها في الحياة... (طغى وبغى وتجبر وتكبر)"[9] سعى إلى تحريك الخاصّة من الرعيّة (تلاميذه) -باعتبارهم يمثّلون الطّبقة المثقّفة في المجتمع الهنديّ- ومحاولة إقناعهم بالحجّة والحكمة، فهو "رجل فيلسوف... فاضل، حكيم، يعرف بفضله، ويُرجَع في الأمور إلى قوله"[10]. وقد كان هدفه في ذلك جعل "الملك دبشليم" يغيّر من طريقة تعامله مع الرعيّة وأسلوب ممارساته السّياسيّة.

ويمكن أن نمثّل لهذه الاستراتيجيّة الخطابيّة (التحريك) كالآتي:

اللاّفظ (بيدبا) ⟵ الملفوظ له (دبشليم).

التّحريك

2.1-البنية الجداليّة في النّصّ(المواجهة): أمّا على مستوى البنية الجداليّة، فقد حاول النّاقد "رشيد بن مالك" أن يبيّن ذلك التّغيير الأساسيّ الّذي طرأ على مجرى الأحداث السّرديّة، بفعل قرار المواجهة (مواجهة الملك) الّذي اتّخذه الفيلسوف بيدبا بعد فشله في تعبئة وتحريك الفاعل الجماعي (التلاميذ)، موضّحا في ذات الصّدد مجموع العوامل المساعدة والمؤهّلات الّتي شكّلت "كفاءة الفيلسوف الّذي أسّس نفسه فاعلا في برنامج التّغيير في الوقت الّذي أدرك

الشّرخ الموجود بين السّلطة والرعيّة."[11] كما حدّد النّاقد أيضا، العوامل المضادّة الّتي وقفت عائقا حقيقيا أمام تبليغ المعرفة للملك (دبشليم).

ويمكن أن نوضّح هذه المواجهة (الصّراع الفكري) على النّحو الآتي:

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

– الفيلسوف الهندي بيدبا – مواجهة الملك وتبليغه المعرفة في ممارسة السّلطة. – رباط وصلي بين الحاكم والمحكومين. – المجتمع. – الرّعيّة.

↑

المساعد ← الفاعل (الذّات) ← المعارض

– نصّ النّصيحة. – بيدبا – الملك(الطغيان،التجبّر،الظّلم)

– المعرفة والحكمة والذكاء والحيلة. – الخوف.

– سرد وقائع الممارسة السّياسيّة الحسنة للملوك السّابقين.

– الخطاب الحجاجيّ

انطلاقا ممّا سبق يمكن أن نشير إلى أنّ الباحث "رشيد بن مالك" على الرّغم من إدراكه للإطار التلفّظي لنصّ النّصيحة للفيلسوف الهندي "بيدبا"، وكيفيّة اشتغاله دلاليّا، إلا أنّنا نجده –من خلال تأويله لهذا النّصّ– يعمل على تجلية العلاقة بين "الملك" والرّعيّة في المجتمع الهنديّ، كما لو أنّها العلاقة نفسها الّتي تربط الحاكم بالمحكومين في المجتمع العربيّ الإسلاميّ، تاركا مهمّة الإسقاط والتّأويل هاته للقارئ الّذي يعمل على إثبات "القواسم المشتركة بين المجتمعين في إشكاليّة تسيير الفعل السّياسيّ"[12]. ولذلك فإنّ تعامله مع النّظريّة السّيميائيّة لم يكن غاية في حدّ ذاتها، وإنّما جاء تعامله معها على أنّها وسيلة مسخّرة لفهم الإشكاليات الّتي يطرحها التّصدّي للمعنى المتخفّي وراء الممارسات الإنسانيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة الدّالة[13].

في النّهاية يمكن القول: إنّ ما يميّز هذه القراءة السّيميائيّة لنصّ النّصيحة للفيلسوف الهندي "بيدبا" هو أنّ الباحث "رشيد بن مالك" قد استطاع من خلال التزامه حدود النّصّ وبنيته الخطابيّة، وكذا اشتغاله على اللّغة، أن يدرك الإطار التلفّظي (بيدبا/دبشليم) لهذا النّصّ، متوصّلا إلى تحديد العلاقة القائمة بين اللاّفظ (بيدبا) والملفوظ له (دبشليم)، وضبط الاستراتيجيّة الّتي سخّرها الأوّل لتحريك الثّاني وحمله على الانخراط في مشروعه.[14]

2- مقاربة النّصّ التّراثي: قدّم النّاقد "رشيد بن مالك" مشروع قراءة سيميائيّة في نصّ إغاثة الأمّة بكشف الغمّة أو تاريخ المجاعات في مصر "لتقيّ الدّين بن علي المقريزي"، حيث سعى من خلال ذلك إلى إقامة علاقة مع النّص التّراثيّ العربيّ القديم بهدف تجديد الوعي به وتحريكه وإعادة قراءته قراءة جديدة تتفحّص مستوياته اللّغويّة والدّلاليّة من منظور سيميائيّ.

إنّ الاقتراب المنهجيّ من هذا النّصّ التّراثيّ يطرح -كما يقول الباحث "رشيد بن مالك"- إشكاليتين، تتعلّق الأولى بقلّة الدّراسات العربيّة المهتمّة بالخطاب السّياسيّ والخطابات في العلوم الاجتماعيّة بصفة عامة انطلاقا من توجّه سيميائيّ، أمّا الإشكاليّة الثّانية فتخصّ مشروعيّة مقاربة نصّ تراثيّ وفق أدوات منهجيّة حديثة قد تبدو غريبة عنه كل الغرابة.[15]

ولتفادي هذه الإشكاليّة -إشكاليّة قراءة التّراث- التزم الباحث بخطّة منهجيّة واضحة ومضبوطة "تنطلق في البداية من القراءة المتأمّلة للنّصّ بالاشتغال على المعاجم العربيّة الّتي ارتهن إليها خطاب المقريزي وضبط المسارات الدّلاليّة للوحدات المعجميّة الموضوعة قيد التّحليل"[16].

وقد حاول الباحث "رشيد بن مالك" -أثناء ذلك- حصر المستويات الدّلاليّة وضبط إطارين أساسيين في النّصّ:

ففي الإطار الأوّل توصّل الباحث إلى إدراك البعد التلفّظي في النّصّ بضبط الهيئة اللاّفظة (المقريزي) ومقاصدها في مقاربة ظاهرة المجاعات في مصر اقتصاديا وسياسيا، مرتكزا في هذا التّحليل على الملفوظ الأساسيّ في النّصّ. يقول "المقريزي": "من تأمّل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته، وعرفه من أوّله إلى غايته، علم أنّ ما بالناس سوى سوء تدبير الزّعماء والحكام وغفلتهم عن النّظر في مصالح العباد".[17]

إنّ محاولة الباحث إدراك الهيئة اللاّفظة في النّصّ بتحديد طرفي الخطاب فيها (الأنا: المقريزي/و/الأنت: الزّعماء والحكام)، وطبيعة العلاقة التّواصليّة بينهما، قد مكّنه من إدراك الآليات الّتي تحتكم إليها السّلطة في تسييرها للفعل السّياسيّ، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد توصّل إلى ضبط برنامج الرّعيّة الأساس الّذي يهدف من خلاله "المقريزي" إلى تحريك متلقّي الرّسالة أو الخطاب بهدف تأسيسه فاعلا منفّذا في برنامج تتحدّد غايته في التّحرّر من السّلطة السّياسيّة القمعيّة وتحقيق قيّم سياسيّة جديدة تعمل على إعادة الصّلة بين الحكام والرّعيّة[18].

أمّا على مستوى الإطار الثّاني، فقد حلّل النّاقد البرامج السّرديّة مع التركيز على الممثّلين السّياسيين الّذين يتصدّرهم أهل الدّولة أو السّلطة، مبرّرا ذلك عن طريق الاستعانة بمجموعة من الرسومات والجداول التوضيحيّة، بغية الكشف عن علاقة هذا الممثّل الأساسيّ (أهل الدّولة) بمياسير التّجار وأولي النّعمة والتّرف والفئات الأخرى المحرومة من العلماء والفقهاء والأجراء والحمّالين والخدم وأهل الخصاصة والمسكنة الّذين تختلف درجاتهم بحسب ملكياتهم[19].

وقد خلص الباحث في الأخير –من خلال المربّع السّيميائيّ– إلى ضبط البنية الدّلاليّة العميقة لخطاب "المقريزي" الّذي يعكس صراعا بين أهل الدّولة الّذين يعملون على تكريس التناقضات في المجتمع بنفي العلم وتثبيت الجهل، وبين فئات المجتمع المحرومة الّتي يهدف "المقريزي" –من خلال خطابه– إلى تعبئتها "بدعوتها إلى التأمّل في المجاعات ومعرفة أسبابها الّتي تقود حتما إلى إدراك نظام يستمدّ علّة وجوده من سوء التّسيير وإتلاف مصالح الناس. إنّ الاستراتيجيّة السّيميائيّة للمقريزي مسخّرة لبناء الكفاءة العلمية للفئات المجتمعيّة والارتقاء بها بهدف امتلاك العلم الّذي يعدّ السّبيل الوحيد للتخلّص من شبح البؤس والجوع والموت."[20]

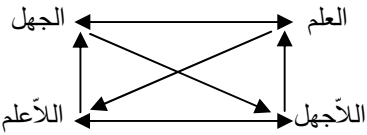

ويمكن أن نلخّص خطاب "المقريزي" (الملفوظ الأساسي) وإدراك تجلياته الدّلاليّة من خلال وضعه في صلب بنية زمنيّة يتحدّد الما بعد فيها بالما قبل، كالآتي:[21]

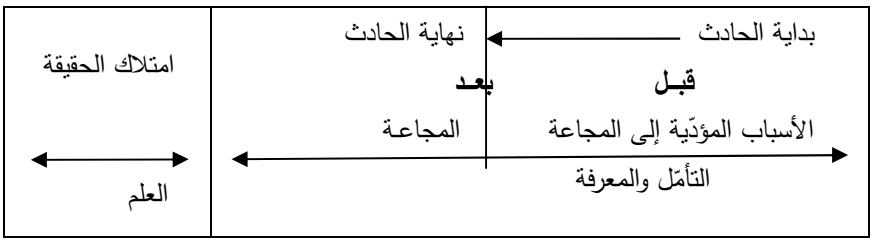

بقي أن نشير في النّهاية إلى أنّ المقاربة السّيميائيّة الّتي عالج بها الباحث نص النّصيحة، ونصّ إغاثة الأمّة بكشف الغمّة يمكن إدراجها ضمن المقاربات النّقديّة المهتمّة بتحليل التّراث الأدبيّ بصفة عامّة والسّرديّ بصفة خاصّة*، وفق آليات وأدوات جديدة وأسئلة

مغايرة الهدف منها إعادة النّظر وتجديد الوعي بهذا التّراث، ومحاولة فك شفراته وإضاءة الكثير من جوانبه الغامضة أو المظلمة، غير أنّ ما ينبغي الإشارة إليه ههنا هو أنّ مثل هذه المقاربات النّقديّة لا يمكن أن تسلم من عديد الانتقادات الموجّهة إليها، ذلك لأنّ محاولة قراءة هذا التّراث قراءة عصريّة قد أثارت مجموعة من التّساؤلات والإشكاليّات تخصّ طرائق تعاملنا معه وبالأحرى منهجيّة قراءته.

3- مقاربة نصّ القصّة القصيرة: يقدّم الباحث "رشيد بن مالك" -في كتابه مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة- مقاربتين سيميائيتين لقصّتين قصيرتين، تخصّ الأولى قصّة (العروس) "لغسّان كنفاني" وتخصّ الثّانية قصّة (عائشة) "لأحمد رضا حوحو". ففي المقاربة الأولى، يحاول الباحث "اكتناه التمفصلات الأساسيّة للنّصّ استنادا إلى الهيئة التلفّظيّة المؤسّسة للفاعل، والقنوات الّتي يمرّر عبرها مضامينه."[22]

وتعتبر هذه العمليّة -في نظر الباحث- أساسيّة في تحليل الخطاب السّرديّ، إذ بموجبها يتمّ إدراك استراتيجيات الصّراع والمواجهة الّتي تجسّدها البرامج السّرديّة، كما تقود أيضا إلى فهم الرّهانات السّيميائيّة في القصّة وضبط دورتها الدّلاليّة[23].

ورغبة منه في تحقيق ذلك -ضبط الدّورة الدّلاليّة للقصّة- لجأ النّاقد إلى تقطيع هذه القصّة إلى مقطوعتين اثنتين، تحمل الأولى شكل رسالة يوجّهها الرّاوي بوصفه الأنا المتكلّم إلى الأَنتَ رياض: "ابحث معي حيث أنت عن رجل طويل جدا، صلب جدا، لا أعرف اسمه، ولكنّه يلبس بدلة خاكية عتيقة ويلوّح لأوّل وهلة كأنّه مجنون."[24]

انطلاقا من هذا الملفوظ الأساسيّ عمل الباحث "رشيد بن مالك" على تحليل هذه المقطوعة السّرديّة الّتي يحتل فيها الرّاوي مكانة المرسل في برنامج سرديّ توكل مهمّة إنجازه لرياض باعتباره فاعلا منفّذا يؤسّسه الرّاوي ويستدرجه من خلاله إلى قبول العقد المبرم بينهما وهو وجوب البحث عن الرّجل.

المرسل: الرّاوي ⟵ الفاعل: رياض ⟵ موضوع القيمة:البحث عن الرّجل
(البرنامج السّردي)

غير أنّ مهمّة أداء هذا البرنامج السّرديّ (البحث عن الرّجل) قد باءت بالفشل بسبب عدم امتلاك البطل الفاعل (رياض) القدرة على التّمييز والمعرفة (لا يعرف اسم هذا الرّجل

النكرة). فمعرفته تقتصر على مستوى الظّاهر بمعنى امتلاكه العلامات الدّالة على مظهره الخارجيّ فقط[25].

أما تحليل المقطوعة السّرديّة الثّانية فقد ركّز فيه النّاقد على ذلك التحوّل الّذي حصل على مستوى أحداث القصّة، حيث ينتقل الرّاوي من الحديث عن العلامات المميّزة للرّجل إلى سرد قصّته كاملة والّتي يعبّر من خلالها (الرّاوي) عن فشله (الرّجل) في إدراك موضوع القيمة المرغوب فيه (البندقية/العروس)، وإصابته بالجنون جرّاء ذلك، وقد كان هدفه (الرّاوي) في ذلك محاولة إقناع رياض بهدف تأسيسه فاعلا في برنامج التحرّي عن هذا الرّجل.

إنّ ما يميّز تحليل الباحث لهذه القصّة هو تمكّنه من إدراك دورتها الدّلاليّة وتوصّله إلى ضبط مسارين في التّحليل يحكمان ويوجّهان الأحداث فيها، هما: مسار الافتقار ومسار الإحباط والتدهور[26]. يتحدّد المسار الأوّل في شعور الرّاوي بالنّقص والافتقار إلى موضوع القيمة (البحث عن الرّجل)، ويتحدّد المسار الثّاني في إصابة الرّجل بالإحباط والجنون نتيجة فشله في تحقيق وصلة بموضوع القيمة (البندقية)، الّتي "تتمازج مع العروس فتتوحّد قيّم الموت والحياة توحّدا يحدث حالة تناقض قصوى تتحكّم في سلوك المواطن الفلسطيني."[27]

وأمّا في المقاربة الثّانية، فقد سعى النّاقد "رشيد بن مالك" "من خلالها إلى فحص قصّة (عائشة) باستجلاء العناصر السّرديّة حسب ظهورها في النّصّ وتحديد الحالات والتّحويلات الّتي تحكم بنية الخطاب السّرديّ."[28] وقد تّم ذلك عن طريق تقطيع نصّ القصّة إلى خطابين: خطاب موضوعي وخطاب سرديّ.

فأمّا الخطاب الموضوعيّ فتناوله النّاقد من خلال تقديمه لوصف الرّاوي –في المقطوعة الأولى– لواقع المرأة في المجتمع الجزائريّ، الّذي يقدّمه على أنّه واقع مظلم وقاهر يقصي المرأة ويشيّئها، فعائشة –كما يصوّرها الرّاوي في القصّة– تعيش في مجتمع أبويّ قهريّ يمنعها من امتلاك المعرفة الّتي "تعدّ السّبيل الوحيد الّذي يضمن ممارسة حقّها الطبيعي في القول والفعل"[29].

وعلى هذا الأساس يتحدّد المجتمع باعتباره فاعلا جماعيا يتبنى برنامجا يحاول من خلاله نفي المتحوّل بإقصائه لدور المرأة ولحريتها الاجتماعيّة. فهو يمتلك معرفة ثابتة متمثّلة في القدرة على إعادة إنتاج الأشكال الثّقافيّة القارّة والثوابت المتجذّرة في نظام القيّم الموروثة[30].

وقد توصّل الباحث بناء على المعطيات السّابقة، وانطلاقا من المقابلة الأساسية: الثّابت/المتحوّل أن يحدّد مختلف القيّم الدّلاليّة في هذه المقطوعة السّرديّة، وتمثيلها في المربّع السّيميائيّ المحدّد لمكانة المرأة في المجتمع الجزائريّ.

وأما تناوله للخطاب السّرديّ في المقطوعة الثّانية من القصّة، فقد حاول الباحث من خلاله إبراز الآلية الّتي تحكم البنية السّرديّة في هذا النّصّ عن طريق تفحّصه لمجموع الحالات، والتحوّلات والاختلافات، والانزياحات، عبر ملفوظين سرديين: ملفوظ حالة وملفوظ فعل، حيث يبيّن ملفوظ الحالة وضعية الذّات الفاعلة في علاقتها بموضوع القيمة (الاتّصال أو الانفصال)، أما ملفوظ الفعل فيتم عبره إنجاز التحوّل في البرنامج السّرديّ بانتقال الذّات من حالة الانفصال إلى حالة الاتّصال بموضوع الرّغبة أو العكس.

وفي قصّة (عائشة) يتجسّد هذا التحوّل من خلال الفعل الإغوائي الّذي مارسه الشّاب، حيث أحدث تغييرا جذريا في الوضعية الاستراتيجيّة للفاعل الجماعي (الرّجال، والفتيات، والنّسوة) الّذي أضحت تمتلكه الرّغبة في معرفة العالم الآخر (الغرب) [31].

وما يمكن أن نخلص إليه من خلال هذه المقاربة السّيميائيّة هو أنّها، وإن كانت لا تختلف عن المقاربة الأولى (مقاربة الباحث لقصّة غسّان كنفاني)، لا من حيث الهدف –ضبط الدّورة الدّلاليّة للنّصّ– ولا من حيث المنهج –مفاهيم السّيميائيّة السّرديّة– ولا من حيث طريقة التّحليل والتّقطيع[32]، فإنّها تنفرد بخاصيّة مميّزة لها، هي قيامها على ثلاث بنيات أساسيّة (بنية خطابيّة وبنية سرديّة، وبنية دلاليّة) تشكّل عضد النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة، الأمر الّذي أضفى عليها طابعا خاصّا يحيل على خطاب نقديّ مكتمل ومرجعيّة علميّة ومصطلحيّة محدّدة.

بقي أن نشير في نهاية هاتين المقاربتين إلى أنّ الباحث "رشيد بن مالك" يهدف من خلال تفحّصه نصّ القصّة القصيرة وفق إجراءات التّحليل السّيميائيّ إلى تجاوز تلك المقاربات النّقديّة الكلاسيكيّة والمعيارية، وتدعيم مشروعه النّقديّ الجديد بإثبات فعالية إجراءاته ومفاهيمه التّحليليّة وجعل النّظريّة السّيميائيّة تقترب من جميع أصناف الخطابات السّرديّة.

4– مقاربة النّص الرّوائيّ: من بين أهمّ مقاربات الباحث السّيميائيّة للنّص الرّوائيّ، نجد مقاربته المطوّلة والمتميّزة لرواية (نوّار اللّوز) "لواسيني الأعرج"، الّتي بدأ مشواره النّقديّ بها، في أطروحته لنيل شهادة الدّكتوراه الموسومة بـ: (السّيميائيّة بين النّظرية والتّطبيق): رواية

(نوّار اللّوز) "لواسيني الأعرج" نموذجا، وقد قام الباحث –بعد ذلك– بنشر هذه الدّراسة في كتابه الأخير (السّيميائيّات السّرديّة) تحت عنوان (دراسة تحليلية لرواية نوّار اللّوز للرّوائيّ الجزائريّ واسيني الأعرج).

وقد جاء تناول الباحث لنصّ الرّواية (نوّار اللّوز) وفق أربعة مستويات هي:

- **النّظام السّيميائيّ لفاتحة الرّواية.**
- **سيميائيّة العنوان.**
- **البنية السّرديّة وتجلياتها الدّلاليّة في الرّواية.**
- **سيميائيّة الشّخصيّة.**

ففي المستوى الأوّل حاول النّاقد "رشيد بن مالك" توضيح النّظام السّيميائيّ للفاتحة (فاتحة الرّواية) وكيفية اشتغاله دلاليا في النّصّ، حيث توقّف عند ظاهرة التّناص مبيّنا المنطلقات الّتي اعتمدها الرّاوي في محاورة النّصوص الغائبة، وموضّحا الطّريقة الّتي يتصوّر بها العالم الرّوائي لـ: (نوّار اللّوز) في تقاطعه مع نصّ (السّيرة الهلالية) ونصّ المقريزي (إغاثة الأمّة بكشف الغمّة). ليتوصّل بذلك إلى أنّ فاتحة الرّواية وإن كانت تبدو منذ الوهلة الأولى "مستقلّة عن النّصّ الرّوائيّ وأحداثه وشخوصه، فإنّها ملحقة به زمنيا ومرتبطة به دلاليا."[33]

يتّضح ذلك من خلال الدّعوة الصّريحة الّتي يوجّهها الرّاوي إلى القارئ (الأنتم) بقوله: "قبل قراءة هذه الرّواية الّتي قد تكون لغتها متعبة، تنازلوا قليلا واقرؤوا تغريبة بني هلال. ستجدون حتما تفسيرا واضحا لجوعكم وبؤسكم."[34]

ويتّضح أيضا من خلال نصّ المقريزي: "من تأمّل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته، وعرفه من أوّله إلى غايته، علم أنّ ما بالنّاس سوى سوء تدبير الزّعماء والحكّام وغفلتهم عن النّظر في مصالح العباد".

وبهذا يتأسّس الرّاوي (الكاتب) باعتباره مرسلا / محرّكا للفاعل الجماعي (القرّاء) في برنامج سرديّ معرفيّ يكون فيه فهم النّصّ الرّوائيّ وإدراك الواقع الاجتماعيّ المتّسم بالجوع والبؤس والّذي يعالجه هذا النّصّ، مرتبطا بتحقيق كفاءة معرفيّة متمثّلة في قراءة الماضي واستيعابه. وبهذا تشكّل فاتحة الرّواية ظاهرة تناصّية تكتسب دلالتها من تعالق النّصوص وتلاقيها وتحاورها.

وقد حلّل النّاقد في المستوى الثّاني العنوان (عنوان الرّواية: نوّار اللّوز: تغريبة صالح بن عامر الزّوفري)، حيث يرى بأنّه "من غير العادي أن نسخّر اسم نبات لعنوان [نوّار اللّوز]، إذا لم نفكّر مسبّقا بأنّ هذا الاسم محمّل برسالة إلى القارئ. ذلك أنّ اختيار اسم نبات كعنوان لرواية ليس مجّانا."[35] بل هو بنية رمزيّة مولّدة لجملة من الدّلالات المركزيّة في هذا النّصّ الرّوائيّ، وتعدّ جديرة بالتّحليل والبحث في تكويناتها وتشكّلاتها السّيميوطيقيّة، استنادا إلى تمييز إجرائيّ يستلهم مقولات "غريماس"، الّذي يميّز فيها بين مستوى المانفيست النّصي ومستوى المحتوى[36].

يتجلّى ذلك من خلال التقابلات الّتي أقامها الباحث بين الثنائيات المتضادّة في النّصّ بداية من العنوان نفسه، حيث يحيل جزؤه الأوّل (نوّار اللّوز) على الأمل والحياة ويحيل جزؤه الثّاني (تغريبة صالح بن عامر الزّوفري) على الغربة والموت.

وبذلك فإنّ الصّورة المعجميّة المركّبة (نوّار اللّوز) وما تحمله من دلالات، لم تأت بمعزل عن النمو السّرديّ ومجموع الحالات والتّحويلات المنتظمة على مستوى البنية الخطابيّة، وإنّما هي نتاج علاقات خلافيّة سجاليّة متراكمة في النّصّ الرّوائيّ، إذ تشترك الملفوظات: خصب/ أمل / فرح... إلخ وتتعالق لتبني عالم الحياة (النوّار). أمّا الملفوظات: جدب / يأس / حزن...إلخ. فتتّحد لتكوّن عالم الموت (تغريبة صالح بن عامر الزّوفري).

ويدلّل الباحث على ذلك بالملفوظ الآتي: (انطفأت براعم اللّوز) الّذي يتجانس مع مضمون النّصّ الرّوائيّ الّذي يوحي بالحزن والكآبة ويعبّر عن معاناة أهل القرية ومأساتهم. ثمّ إنّ هذه الوضعية الحالية الّتي يجسّدها الملفوظ (انطفأت براعم اللّوز) عبر مجموعة من الوحدات المعنويّة الصّغرى المحيلة على عالم الموت، ستشهد تحوّلا عميقا في نهاية الرّواية يؤدّي إلى ولادة النوّار (عالم الطبيعة) بشكل متزامن مع ولادة العنوان (عالم النّص)، وولادة الحملان (عالم الحيوان) ومع فكرة إنجاب قبيلة من الأطفال وقارّة من البنات الطيّبات[37]. على نحو ما يجسّده النّصّ الرّوائيّ:

– "سنتزوّج، وسننجب قبيلة من الأطفال، وقارّة من البنات الطيّبات."[38]

– "ظهر على أغصان شجيرات اللّوز نوّار أبيض، صغير، كان يبشّر بربيع جميل."[39]

– "الحملان الجديدة الّتي ولدت في الزرائب"[40].

– "النّاس فرحون (...) أملهم الكبير كان في نوّار اللّوز"[41].

هكذا إذن جاءت دراسة الباحث للعنوان مرتبطة بتطوّر أحداث الرّواية وبنيتها السّرديّة وسلسلة الحالات والتحوّلات والاختلافات المنتجة لدلالات العنوان، ليصل في الأخير إلى أنّ الرّاوي (واسيني الأعرج) قد وظّف العنوان (نوّار اللّوز: تغريبة صالح بن عامر الزّوفري) لتصوير عالمين متقابلين هما: عالم الموت وعالم الحياة. الأمر الّذي يؤكّد لنا "بأنّ نصّ رواية نوّار اللّوز المتماسك يعتبر آلة حقيقيّة لإنتاج العنوان."[42] كما يؤكّد من جانب آخر على أنّ اختيار النّاص لهذا العنوان المركّب (نوّار اللّوز: تغريبة صالح بن عامر الزّوفري) ليس مجانا مادام أنّ العنوان يرتبط ارتباطا وثيقا بالنّصّ الرّوائيّ في إطار"علاقة تكامليّة وترابطيّة: الأوّل يعلن والثّاني يفسّر"[43].

وقد خصّص النّاقد "رشيد بن مالك" المستوى الثّالث لدراسة البنية السّرديّة وتجليّاتها الدّلاليّة في النّص الرّوائيّ (نوّار اللّوز)، حيث عمد إلى تحليل المكوّن السّرديّ بضبط البرامج السّرديّة الأساسيّة وتحديد نظام القوى المتصارعة في الرّواية، ووصف مجموع الحالات والتحويلات وسلسلة الاختلافات والانزياحات المولّدة للبنية الدّلاليّة العميقة انطلاقا من المربّع السّيميائيّ.

لقد جاء تناول الباحث للمكوّن السّرديّ بتركيزه على مشروع سرديّ أساسيّ تتبني عليه الأحداث وتنتظم في إطار متوالية سرديّة وزمنيّة متماسكة. يتعلّق الأمر بالبرنامج السّرديّ الّذي يقف وراءه "صالح" الّذي يسعى إلى تحقيق موضوع قيمة متمثّل في حصوله على منصب شغل بغية تحسين وضعيته الاجتماعيّة المزرية (الجوع والفقر)، حيث سيضطره ذلك فيما بعد إلى مزاولة مهنة التهريب في مرحلة أولى، ثمّ محاولة اندماجه في مشروع الثّورة الزّراعيّة في مرحلة ثانية، وزواجه من "لونجا" في مرحلة آخرة، غير أنّه واجه جملة من الصّعوبات أدّت إلى اصطدامه بقوى المعارضة الّتي يمثّلها "الجمركي".

ويمكن صياغة هذا المكوّن السّرديّ في الخطاطة السّرديّة الآتية:

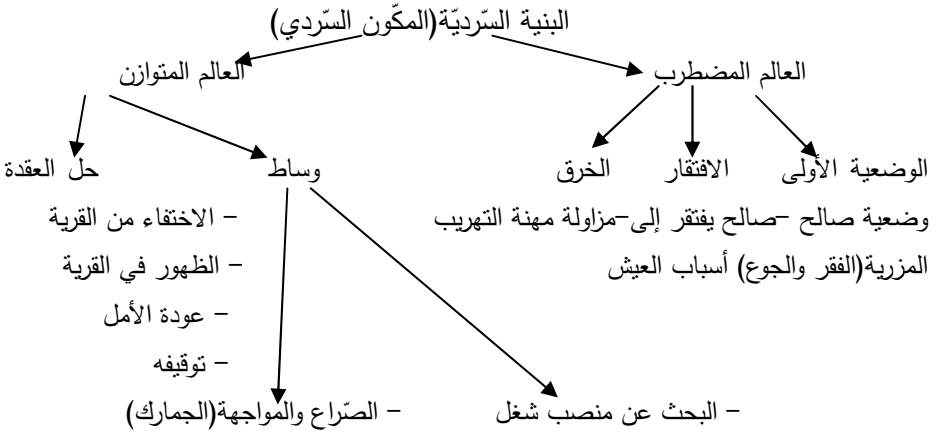

تبرز هذه البنية السّرديّة المواجهة أو الصّراع بين طرفين متضادّين هما: الفاعل "صالح" الّذي يقوم بدور المهرّب والفاعل المضاد المتمثّل في "الجمركي"، إذ يسعى الأوّل إلى تحقيق التّوازن والتخلّص من الفقر، ويعمل الثّاني على ممارسة مهنته الشّرعية.

نوضّح ذلك من خلال الرّسم العامليّ الآتي:

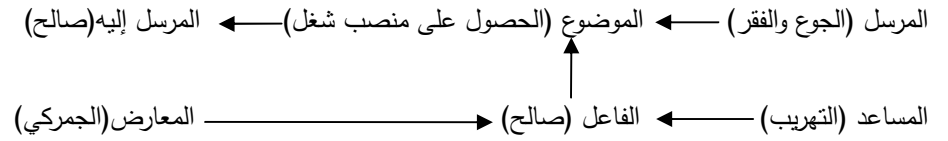

ومن أجل تبرير الصّراع بين الفاعل (صالح) والفاعل المضاد (الجمركي)، لجأ الباحث إلى وضع جدولين وضح من خلالهما علاقات التقابل والتضاد القائمة بين المقاطع السّرديّة والوحدات المعجميّة (السّيميمات) المتسلسلة عبر النّصّ الرّوائيّ، بهدف الكشف عن الآلية الّتي تكتسي بها هذه الوحدات السّرديّة والمعجميّة شبكة دلاليّة في صلب النّصّ. على نحو ما تظهره المقطوعة السّرديّة الآتية: "يلعبون بدمنا، يسترزقون به ويحوّلونه إلى تكريمات وأوسمة وفلات وكباريهات وسيارات فخمة..."[44]، حيث تبرز حالة التناقض الأساسيّة في القرية بين الفئة الغنيّة والفئة الفقيرة، وانعدام التّواصل بين الحاكم والمحكومين.

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إنّ البنية السّرديّة لرواية (نوّار اللّوز) تنتظم في إطار عالمين متناقضين عالم الموت وعالم الحياة، حيث يجسّد "صالح" ومن يدور في فلكه العالم الأوّل (عالم الفقر والحرمان)، ويمثّل "الجمركي" العالم الثّاني (عالم التسلّط والغنى والحياة).

وقد خلص النّاقد في الأخير إلى دراسة شخصيّات الرّواية انطلاقا من تصنيف "فيليب هامون"، الّذي يرى بأنّ الشّخصيّة في السّرد هي تركيب جديد تفرضه ثقافة القارئ، أكثر ممّا هي تركيب يقوم به النّصّ، حيث قسمها إلى ثلاثة أنواع هي: الشّخصيّات المرجعيّة: (وضمنها الشّخصيّات التّاريخيّة، الأسطوريّة، المجازيّة، والاجتماعيّة)، والشّخصيّات الواصلة أو الرّابطة النّاطقة باسم المؤلّف والشّخصيّات المتكرّرة ذات الوظيفة التّنظيميّة.

غير أنّ الباحث "رشيد بن مالك" قد استعاض في تحليلاته للشّخصيّة في النّصّ الرّوائيّ (نوّار اللّوز) بالشّخصيّة الغائبة عن الشّخصيّة الواصلة وبالشّخصيّة الحاضرة عن الشّخصيّة المتكرّرة. أمّا الشّخصيّة المرجعيّة، فلها عنده بعد تاريخيّ كما هو الشّأن بالنّسبة لشخصيّات (نابليون، أولاد لاليجو...)، الّتي تحيل على واقع اجتماعيّ وتاريخيّ في فترة من فترات التواجد الاستعماريّ في الجزائر، وبعد آخر اصطلح عليه الباحث بالشّخصيّة التّناصيّة Personnage intertextuel، الّتي "تحيل على شخصيّات أدبية أجنبيّة عن النّصّ الرّوائيّ(...) [و] تؤدّي وظيفة تناصية تتجسّد في مختلف مستويات بنية النّصّ."[45] ومن الشّخصيّات التّناصيّة في الرّواية: (صالح، بنو هلال، السبايبي، السماسرة، والتّجار).

وهناك تصنيف آخر للشّخصيّة في رواية (نوّار اللّوز) يخصّ الشّخصيّة المرجعيّة الذّاتية، والّتي يعدّها الباحث كائنا ورقيا لا يظهر إلى الوجود إلاّ من خلال ذكريات الرّاوي أو من خلال ما يعزى إليه من أدوار أو برامج سرديّة في متن الرّواية، أي إنّها بهذا الشّكل لا تحيل إلا على نفسها أو ذاتها[46].

إضافة إلى ذلك وبالاستناد إلى المقولات الّتي قدّمها "جيرار جينيت" بخصوص الزّمن السّرديّ، ميّز الباحث بين الشّخصيّات الغائبة والشّخصيّات الحاضرة، حيث تشتغل الأولى خارج إطار الزّمن الحاضر للرّواية، بينما تتموضع الثّانية زمنيا في حاضرها[47]

ولم يكتف الباحث بتصنيف شخصيّات الرّواية إلى شخصيّات مرجعيّة وغائبة وحاضرة، بل قاده ذلك إلى تفحّص دلالات أسمائها والنّظر في خصائصها، الّتي أوجدها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع وبالدّور الّذي تؤدّيه هذه الشّخصيّات داخل النّصّ الرّوائيّ.

وقد استعان الباحث "رشيد بن مالك" بجدول توضيحيّ أحصى من خلاله أسماء شخصيّات الرّواية، مصنّفا إياها دلاليا وحسب انتمائها إلى طبقات المجتمع (طبقة غنية، وسيطة، وفقيرة)، حيث يمثّل الفئة الأولى السبايبي الّذي ارتبط اسمه بالتّجارة والمال والسّلطة،

أمّا الفئة الثّانية فتتشكّل أساسا من الدّيوانة، إذ تحيل هذه التّسمية أولا على الوظيفة الجمركيّة المتمثّلة في المراقبة القانونية للبضائع عبر الحدود، لكنّ هذه التّسمية سرعان ما تختفي لتحلّ محلّها تسميات أخرى (أبناء لاليجو) واسم حيوان (النّمس، وحش الخلاء)، وتعكس هذه التّسميات الممارسة القمعيّة والمعارضة الحقيقيّة من قبل هذه الفئة لصالح وجميع الفقراء والمهرّبين.

أمّا الفئة الفقيرة فيندرج ضمنها أسماء شخصيّات (صالح بن عامر الزّوفري) الّذي يرمز إلى الوحدة والعزلة والإقصاء والفقر والعذاب والتشرّد، وشخصيّات أخرى مثل: "عمر بوحلاقي"، "أحمد القهواجي"، "عبد الله السكايري"، و"المسيردية"...وغيرها.

بهذا يكون النّاقد "رشيد بن مالك" قد توصّل إلى إدراك الآلية الّتي تحكم الدّورة الدّلاليّة لرواية (نوّار اللّوز) مستثمرا في ذلك النّظريّة السّيميائيّة الغريماسيّة ومقولاتها المتعلّقة بالعنوان وبالشّخصيّة وبالبرامج السّرديّة ومساراتها الصّوريّة، وكذا مجموع الحالات والتحوّلات والانزياحات والاختلافات المنتظمة على مستوى البنية السّطحيّة المولّدة للبنية الدّلاليّة العميقة، انطلاقا من المربّع السّيميائيّ.

بالإضافة إلى مقاربته لرواية (نوّار اللّوز) حاول الباحث "رشيد بن مالك" في مؤلّفه (مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة) المشار إليه سابقا، مقاربة الفضاء في رواية (ريح الجنوب) "لعبد الحميد بن هدوقة" سيميائيا، حيث توصّل إلى ضبط فضائين مركزيين يحرّكان الأحداث في الرّواية هما: فضاء القرية وفضاء المدينة، منطلقا في ذلك "من فرضية مفادها أنّ الفضاء نظام دال يمكن أن نحلّله بإحداث التعالق بين شكلي التّعبير والمضمون، وننظر إليه على أنّه مركّب كالكلام؛ أي ما يدلّ عليه (المضمون) هو من غير طبيعة ما يدلّ به (التّعبير)، ويرتهن في وجوده الدّلاليّ إلى الفعل الممارس فيه والقيّم المحقّقة من استعماله."[48]

يشكّل الفضاء الأوّل (القرية) عاملا مضادا لنفيسة بطلة الرّواية الّتي ترغب في تحقيق برنامجها السّرديّ المتمثّل في الرّاحة والتحرّر عن طريق قضاء عطلتها الصّيفية في المدينة، ويتجسّد هذا الفضاء المعيق عبر مجموعة من الصوّر تحيل على الواقع المأساوي للقرية مثل: الغربة، الصّمت، الخراب، الصّحراء، المنفى، القبور، العزلة، الإقصاء، المنع... إلخ[49].

ويعدّ الفضاء الثّاني (المدينة) فضاء مناقضا للأوّل، كونه يساعد نفيسة على الاتّصال بموضوع رغبتها، وتحقيق مجموعة من القيم الصّورية مثل: الرّاحة، الحرّية، الحياة، الاطمئنان، المساواة، وغيرها من القيّم. ويتأسّس هذا الفضاء باعتباره عاملا مرسلا للذّات الفاعلة (نفيسة) في برنامجها السّرديّ المتعلّق بقضاء عطلتها الصّيفية.

بناء على ما سبق وإذا كانت رواية (ريح الجنوب) تشتغل على أساس التّقابل والتّضاد بين فضائين مركزيين (القرية / المدينة)، فإنّ الباحث "رشيد بن مالك" يهدف من خلال ذلك إلى إبراز طبيعة العلاقة الاجتماعيّة الموجودة بين الرّجل والمرأة، وكذا توضيح "مجموعة من القيّم تعبر عن التناقضات الّتي أفرزها انتقال الجزائر المستقلّة من عالم التخلّف إلى عالم التحضّر."[50]

بهذا يكون النّاقد "رشيد بن مالك" ومن خلال هاتين الدّراستين السّيميائيتين، قد أضفى على تحليلاته السّيميائيّة السّرديّة نوعا من التّكامل والصّرامة العلميّة والمنهجيّة، واستطاع التوغّل في أعماق هذه النّصوص السّرديّة بإدراك حمولاتها المعرفيّة والدّلاليّة، محاولة منه لسدّ الخصاص المعرفيّ الّذي يعانيه الباحث العربيّ والجزائريّ –بصفة خاصة– في ميدان النّقد السّيميائيّ للرّواية، ومتجاوزا بذلك تلك الرّؤى الرّافضة لتطبيق منهج "غريماس" على النّصّ الرّوائيّ بحجّة أنّ هذا المنهج (منهج غريماس) –كما يذهب إلى ذلك "محمّد مفتاح"– "لم يطبّق على رواية شاسعة الأطراف بل طبّق على مقتطفات من الخطاب الدّيني، وبعض الأساطير والقصص القصيرة [ولأنّ] تحليل رواية من ثلاث مائة صفحة قد يحتاج لزمن طويل لإنجازه بدقّة وشمولية."[51]

بيد أنّ هذا الرّأي لا يجد ما يبرّره خصوصا إذا علمنا أنّ الدّراسة السّيميائيّة عند الغرب قد عرفت نماج رائدة من مثل: "فلاديمير بروب"، "رولان بارت"، و"غريماس"، و"جيرالد برانس"، و"تودوروف"، و"كلود بريمون"، و"جوزيف كورتيس"، و"جيرار جينيت" يمكن استشرافها والاعتداد بها في مجال تحليل الرّواية[52].

يبقي أن نشير في الأخير إلى أن تجربة نقدية مثل التي نهض بها الباحث "رشيد بن مالك" استثمرت النظري ونجحت في توظيفه إجرائيا خليقة بأن تتبوأ مكانتها ضمن الجهود النقدية العربية الجادة والمتميزة، التي تعمل بلا شك على إشاعة النقد التطبيقي السيميائي في الأوساط النقدية العربية، والتأسيس لخطاب نقدي سيميائي يسبر أغوار النصوص السّرديّة

ويمكّن من ولوج عوالمها التخييلية. كما أنها تنم –من جانب آخر– عن دقة منهجية في استعمال المصطلح، وتحكم واضح في تطبيق إجراءات المنهج السيميائي، إضافة إلى استيعاب مقولاته التنظيرية والإجرائية انطلاقا من محاضنه الأصلية وهو الميدان الذي لا يشق للباحث –رشيد بن مالك– فيه غبار.

الإحالات:

*: نلمس ذلك جليا من خلال أطروحته لنيل شهادة الدّكتوراه الموسومة بـ: (السّيميائيّة بين النّظرية والتّطبيق): رواية (نوّار اللّوز) "لواسيني الأعرج" نموذجا، دكتوراه دولة (مخطوط) جامعة تلمسان، 1994، 1995. وقد صدر له في هذا المجال –أيضا– العديد من الدّراسات نوردها متسلسلة حسب تواريخ صدورها.

– مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2000.

– قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائيّ للنّصوص (عربي–إنجليزي–فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر، 2000.

– البنية السّرديّة في النّظريّة السّيميائيّة، دار الحكمة، الجزائر، 2001.

– السّيميائيّة: أصولها وقواعدها (ترجمة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.

– السّيميائيّة: مدرسة باريس (ترجمة)، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2003.

– تاريخ السّيميائيّة (ترجمة)، منشورات مخبر التّرجمة والمصطلح، جامعة الجزائر، ودار الآفاق، الجزائر العاصمة، 2004.

– السّيميائيات السّرديّة، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

– السّيميائيّة: الأصول، القواعد، والتّاريخ (ترجمة)، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

1– أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححاه وضبطاه وشرحا غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1942، ج2، ص: 130، 131.

2– رشيد بلعيفة، شعرية النقد/قراءة في كتاب السرد ووهم المرجع لـ: السعيد بوطاجين، ضمن كتاب "النص والظلال" فعاليات الندوة التكريمية حول الدكتور السعيد بوطاجين، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات المركز الجامعي، 2009، ص: 43.

3– رونيه ويليك، أوستين وارين، نظرية الأدب، تعريب: الدكتور عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 1992، ص: 23.

4– محمد الدغمومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999.

5– محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، إفريقيا الشرق، المغرب،1991، ص: 16.

6– رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2006، ص: 45.

7– ينظر: حسين خمري، الظّاهرة الشّعريّة العربيّة: الحضور والغياب، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2001، ص:19.

8– ينظر: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، ص: 37 و46.

9– المرجع السابق، ص: 49.

10– بيدبا، كليلة ودمنة، ترجمة عبد الله بن المقفع، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2007، ص: 08.

11 – رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، ص: 50.

12– المرجع السّابق، ص: 39.

13– ينظر: المرجع نفسه، ص: 34.

14– ينظر: رشيد بن مالك، السّيميائيّة والتّداوليّة، مجلّة اللّغة والأدب، ع17، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الجزائر، جانفي 2006، ص:215، 216.

15– ينظر: رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائيّة في: إغاثة الأمّة بكشف الغمّة، مجلّة اللّغة والأدب، ع15، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الجزائر، أفريل2001، ص: 251.

16– المرجع السابق، ص: 252.

17– المقريزي (تقي الدّين أحمد بن علي)، إغاثة الأمّة بكشف الغمّة، قدّم له وعلق عليه: ياسر سيد صالحين، دت، دط، ص:02.

18– ينظر: رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائيّة في: إغاثة الأمّة بكشف الغمّة، مجلّة اللّغة والأدب، ع15، ص: 252.

19– ينظر: المرجع السابق، الصّفحة نفسها.

20- المرجع نفسه، ص:265.

21- ينظر: المرجع نفسه، ص: 256.

*- تجدر الإشارة ههنا إلى مجموعة من الجهود العربيّة المهتمّة بتحليل التّراث السّرديّ العربيّ القديم، يتعلّق الأمر بإسهامات كلّ من عبد الحميد يونس، وفاروق خورشيد، وسعيد يقطين، وعبد الله إبراهيم، وعبد الفتاح كليطو، وعبد الحميد بورايو، ونبيلة إبراهيم،... وغيرهم.

22- رشيد بن مالك ، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2000. ص: 51.

23- المرجع السّابق، ص: 51.

24- غسّان كنفاني، عالم ليس منا، مؤسّسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1980، ص: 151. عن: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، المرجع السّابق، ص:52.

25- ينظر: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص: 52.

26- ينظر: قادة عقاق، السّيميائيات السّرديّة وتجلياتها في النّقد العربيّ المغاربيّ المعاصر (نظريّة غريماس نموذجا)، (مخطوط)، دكتوراه دولة في الأدب العربيّ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة سيدي بلعباس،1993، 1994، ص: 360.

27- رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص: 66.

28- المرجع السابق، ص: 72.

29- المرجع نفسه، ص: 75.

30- ينظر: المرجع نفسه، ص: 77.

31- ينظر: المرجع نفسه، ص: 80.

32- ينظر: قادة عقّاق، السّيميائيات السّرديّة وتجلياتها في النّقد العربيّ المغاربيّ المعاصر، ص:361.

33- رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، ص: 72.

34- الأعرج واسيني، نوّار اللّوز (تغريبة صالح بن عامر الزّوفري)، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2002، ص: 07.

35- رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، ص: 80.

36– ينظر: بن عيسى هامل، واقع الخطاب السّيميائيّ في النّقد الأدبيّ الجزائريّ، رسالة ماجيستير (مخطوط)، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، 2005، 2006، ص: 34.

37– رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، ص: 83.

38– الأعرج واسيني، نوّار اللّوز (تغريبة صالح بن عامر الزّوفري)، ص: 272.

39– المرجع السابق، ص:277.

40– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

41– المرجع نفسه، ص: 278.

42– رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، ص: 86.

43– المرجع السابق، ص: 81.

44– الأعرج واسيني، نوّار اللّوز، ص: 203.

45– رشيد بن مالك، السّيميائيات السّرديّة، ص: 131.

46– ينظر: المرجع السابق، ص: 135.

47– ينظر: المرجع نفسه، ص: 135، 136، 137.

48– رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص: 97.

49– ينظر: المرجع السّابق، ص: 97، 98.

50– المرجع نفسه، ص: 102، 103.

51– مفتاح محمّد، التّحليل السّيميائيّ؛ أبعاده وأدواته، مجلّة دراسات سيميائيّة أدبية لسانيةع1، مجلّة فصليّة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ع1، خريف1987، ص: 14.

52– ينظر: بيتر دوميجر، تحليل الرّواية، ترجمة غسّان شديد، مجلّة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، ع5، 1989، ص:101–110.